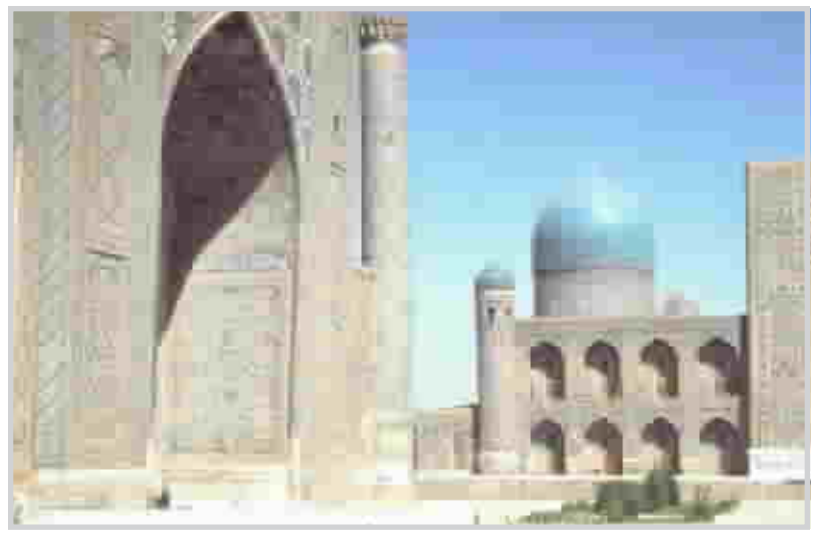
مدرسة" اولوغ بيك" في سمرقند

" ميدان ريجستان"

" ميدان ريجستان" من الجو

تعبر سلسلة المقالات في منجز العمارة الاسلامية عن وجهة نظر خاصة، تتوق إلى تبيان اهمية تلك العمارة، والتأكيد بان منجزها ما هو الا منجز حقيقي وابداعي وثر ؛ بالضد من رؤى بعض الدارسين لذلك المنجز الذين تعاطوا مع نماذجه إنطلاقا من مفاهيم ملتبسة تدعو بلجاجة إلى التمركز على ثبوتية صيغ الانواع التصميمية الاولى، أولئك الذين وضعوا "تابو" قسريا وغير عقلاني على محاولات تجاوز تلك الصيغ او تغييرها رغم اختلاف الزمان والمكان؛ معززين تصوراتهم المضللة بحجج واهية بان كل جديد هو بدعة، وكل بدعة ضلال مآلها النار!.

وتسعى هذه السلسلة من المقالات إلى تكريس مقاربة معمارية معنيّة بتمجيد نجاحات العمارة الاسلامية والاحتفاء باضافاتها التكوينية؛ كما تتطلع إلى رفع الاغطية الماضوية عنها، تلك الاغطية التى دأب بعض الدارسين لتلك العمارة إلى تدثيرها ولفها بها وحصر منجزها بتاريخانية صارمة، همها النأي بعيدا عن امكانات التأويل والتفسير، بمعنى آخر تطمح هذه المقالات إلى اضاءة النشاط المعماري الذي تحقق على ايدى المعماريين المسلمين المبدعين، الذين حققوا طرزا معمارية غير مسبوقة، اغنت من دون شك المنتج المعماري العالمي، ولونت خطابه الابداعي بالوان زاهية ومميزة.

تنضوي جميع المقالات تحت سقف واحد لثيمة مشتركة، وهذه الثيمة مهتمة بتحديد مواقع المباني التى تتناولها تلك المقالات وتحصرها حصرا خارج جغرافية ما يدعى اليوم بالعالم العربي. انها نتاج شعوب عديدة مختلفة اثنيا وجغرافيا، لكن منجزها التصميمي يسعى إلى المساهمة الفعالة في الاشتغال على خطاب معماري يهتم بترسيخ قيم تكوينية مشتركة من ناحية، ومن ناحية آخرى يتيح هذا الخطاب امكانية القراءات المتعددة لتلك القيم المشتركة طبقا لخلفيات التنوع الاثني والجغرافي والثقافي لبناة تلك المنشآت التى تتكلم عنها هذه المقالات. من جانب آخر تطمح هذه المقالات إلى التذكير بمنجز" الاخر" والاعتراف به مبدعا ومشاركا في تكوين منظومة العمارة الاسلامية؛ ذلك" الاخر"، المختلف، بيد انه المؤتلف مع آخرين في اكساب قيمها وضوحا وفرادة!.

منجز العمارة الاسلامية (١)

عمارة مدرسة " اولوغ بيك " في سمرقند
جماليات مكان التعلم.. والتعليم

د. خالد السلطاني*

في دراسة سابقة عن العمارة الاسلامية، اشرت إلى بعض خصائص تلك العمارة الفطنة المبجلة، التى عد انجازها صفحات مضيئة في سجل العمارة العالمية، وهي عدم وجود انفصال او قطيعة بين طبيعة المنشآت الدينية والدنيوية، ذلك الانفصال الذي يحلو للبعض من الدارسين لتلك العمارة، التأكيد عليه والتشديد على حضوره كأمر مسلم به، حاله حال القطيعة بيم هذين النوعين من المباني التى طبعت عمارة بعض الحضارات الاخرى. واذا كان مثل هذا الشأن امراً ملازما لتلك الحضارات فان خصوصية المجتمع الاسلامي وتقاليده لا تقر بمثل هذا الطرح ولا تلتزم به؛ لاعتبارات معروفة، ليس المجال هنا، يسمح باعادة التذكير بها.

وباختصار شديد، فليس ثمة خط فاصل بين وظائف الابنية الدينية والدنيوية في العمارة الاسلامية، فهناك تراكب كبير بينهما، وتداخل نشاطي اكبر بين وظائف تلك الابنية وغاياتها؛ تراكب وتداخل يجعلان من مباني الحواضر الاسلامية مباني جاهزة لان تنهض باداء الواجبات الدينية والدنيوية معا.

وقد يكون هذا، هو احد الاسباب الموجبة التى جعلت مباني المدينة الاسلامية تنطوي على قدر واضح من الابعاد الواسعة والمقاسات الكبيرة، والتى لا مثيل لها في الممارسة البنائية للحضارات الاخرى. من جانب اخر تظل تكوينات الابنية الاسلامية محتفظة بسمة بارزة اخرى، وهي خاصية التنوع الوظيفي والتعدد المهماتي في مخططات تلك الابنية. بمعنى اخر، ان طبيعة" دالة" المخطط التصميمي لا تعكس بسهولة" مدلولها"، فكثير من الابنية في العمارة الاسلامية ذات المخطط المحدد بامكانها ان تنهض باعباء وظيفية متعددة، وتؤدي فعاليات مختلفة؛ اي" ان الشكل هنا، لا يتبع.. المضمون"، كما نادت بذلك طروحات" العمارة الحديثة" التى انتشر تأثيرها بصورة واسعة في مناطق جغرافية متعددة في النصف الاول من القرن العشرين المنصرم.

وتمثل مدرسة" اولوغ بيك" في سمرقند (جمهورية اوزبكستان حالياً) مثالاً واضحا للقدرة على التعبير عن تلك المبادئ والقيم المعمارية بصورة بليغة وعلى قدر كبير من الفصاحة.

يعود انشاء مدرسة" اولوغ بيك" في سمرقند إلى اعوام ١٤١٧- ١٤٢٠ م. وهذه المدرسة هي احدى ثلاث مدارس امر ببنائها الحاكم المتنّور، المثقف، والمحب للعلوم" اولوغ بيك" (١٣٩٤-١٤٤٩ م)، امير بلاد ما وراء النهر وحاكمها، والمتخذ من (سمرقند) عاصمة له، بعد ان تجزأت الامبراطورية الواسعة التى اسسها جده (تيمور) الرهيب. والمدرستان الاخريتان هما مدرسة في" بخارى" (١٤١٨م)، ومدرسة في مدينة "غيجدوفان" (١٤٣٧ م).

تطلّ مدرسة" اولوغ بيك" على" ميدان ريجستان" المشهور، والذي سيأخذ لاحقاً هيئته الحالية المعروف بها عقب بناء مدرسة" شير –دور" (١٦١٦-١٦٣٦ م)، و مدرسة " طليا- كاري" (١٦٤٦-١٦٦٠ م).

و" ميدان ريجستان" الذي يعني حرفياً (الميدان الرملي) او (ساحة الرمال) كان الاشهر في سمرقند القرون الوسطى، حيث تصب فيه جميع الطرق والشوارع المهمة في المدينة انذاك، وفي هذا الموقع كانت تتلى البيانات والبلاغات المهمة التى يصدرها الحاكم، فضلاً عن ان موقعها يجاور منطقة المتاجر التجارية وأسواقها؛ وهي المنطقة الاكثر حيوية وصخباً في سمرقند.

يعيد تكوين المدرسة التقاليد المعمارية التى انضجتها الممارسة البنائية السابقة في هذا المجال. وهذا التكوين يعتمد على فناء مكشوف فسيح تحيط به غرف؛ حجرات الدراسة، من جميع الجهات. وتقع على محوريه الرأسين –الطولي والعرضي اربعة (ايوانات) ضخمة يصل ارتفاعها إلى ارتفاع الطابقين الملاصقين لها.

تقدر ابعاد مدرسة" اولوغ بيك" في سمرقند بـ (٥٨× ٨٠) متراً، في حين تبلغ ابعاد الفناء المكشوف ذي الشكل المربع حوالى (٣٥× ٣٥) مترا. يتم الدخول إلى المدرسة عبر بوابة ضخمة وعالية ذات عقد مدبب، يصل ارتفاعها إلى اكثر من ثلاثين متراً. وكتلة البوابة المفرغة بواسطة العقد الضخم في داخلها، يعلو ارتفاعها عن سياق البناء المجاور ذي الطابقين.

تحتل الاركان الاربعة من المبنى اربع قاعات كبيرة للدرس (درس خانة)، وتغطي هذه القاعات قباب تعلو بهيئتها الكروية قليلاً عن مستوى ارتفاع البناء الاساسي. كما تم انشاء اربع منائر دائرية رشيقة وعالية قريبة من القاعات. وفي الزوايا الاربع من المدرسة. (وتظهر المنائر الأربع جميعاً، في الوقت الحاضر، وقد تهدمت اقسامها العلوية).

يقع مسجد المدرسة في الجهة الغربية منها، ممتدا في محور شمال - جنوب بابعاد (٨× ٢٢) متراً وبحنايا من الجانبين (٥،٢ × ٧) أمتار. يثير الانتباه اسلوب معالجة فضاء المسجد وطريقة تسقيفه، اذ تقسم اربعة عقود مستعرضة فضاء المسجد إلى خمسة اقسام، وكل قسم فيه تم تسقيفه بواسطة قباب تستند إلى عقدين متوازيين نصف عقد بينهما. وسبق ان استخدمت مثل هذه المنظومة التركيبية في تسقيف مبانٍ اخرى، الا ان استخدامها في" مدرسة اولوغ بيك" ينم عن قدر كبير من التطور والنضوج؛ كما انها تستخدم لاول مرة في عمارة آسيا الوسطى في تغطية فضاءات واسعة كما هو الحال في مسجد المدرسة.

يتميز مخطط" مدرسة اولوغ بيك" بوجود مدخلين إضافيين في جانبي المبنى، مشكلين من الداخل ايوانين يطلان على فناء المدرسة. ويبقى الاسلوب الزخرفي في معالجة هذين الإيوانين، وكذلك نوعية التزيينات فيهما، يبقى اقل بكثير مما هو معمول في المدخل الرئيس المطل على الميدان؛ كما ان ارتفاعهما اوطأ من هذا الاخير بصورة واضحة.

تتوزع غرف الطلاب (الحجرات) كما كانت تسمى، على مدار الفناء المكشوف وعلى جانبي الاواوين الاربعة، وثمة سلسلة من الغرف الاخرى تقع في الطابق الاعلى، الا انها ازيلت عام ١٧٢٠ م من قبل (عامل) سمرقند، بدعوى امكانية قصف قصر الحاكم في القلعة من السطوح العالية للمدرسة!

وكما اشير سابقاً، فان المخطط التكويني" لمدرسة اولوغ بيك" يعيد ما كان معروفاً من اساليب الحل الفضائي –الفني لتلك الابنية، التى شاع انتشارها في الممارسة التصميمية الخاصة بالعمارة الاسلامية بدءاً من القرن الثاني عشر. على انه، يتوجب علينا الاشارة إلى ان بنية المخطط التكويني هذه، التى تشمل فضاء مكشوفا ومحاطاً بفضاءات اخرى مسقفة، ويلفها جدار: سور سميك، غالباً ما يكون اصم (وفي احسن الاحوال قليل الفتحات)، ذا اتصال مقنن عبر بوابات مع المحيط الخارجي، نشير إلى أن مثل تلك البنية التكوينية لم تكن مقتصرة حصراً على ابنية المدارس، وانما كانت تمثل" موتيفاً " Motifمعلوماً، دائما ومنتشراً في تطبيقات العمارة الاسلامية يعكس توظيفها تعددية الاستخدام. بمعنى اخر ظلت البنية التكوينية قادرة على القيام باداء مختلف اشكال الوظائف البنائية كالمساجد والقصور والخانات والبيمارستانات (المستشفيات) والخانقاهات، وغيرها من الابنية وبضمنها المدارس. اي اننا نرصد مفهوماً يتخطى مهام احادية التصميم الوظيفي ليؤسس تصوراً جديداً يعنى بتعددية الوظيفة للحيز المتشكل؛ او ما يطلق عليه" الفضاء الشامل " Universal Space، ذلك المفهوم الذي تبنته (العمارة الحديثة) في وقت متأخر؛ والذي يجعل من ثبوت الشكل المعماري وعاء لاداء وظائف متعددة.

تميزت عمارة آسيا الوسطى في القرنين الرابع عشر والخامس عشر بمحاولة تشييد مجمعات Ensem-bles بنائية كبيرة ومعقدة في مراكز المدن المهمة، مما حدا بالمعماريين إلى ادخال افكار تكوينية جديدة، ودفع بهم إلى اعادة النظر في الاشكال المعمارية التقليدية واساليبها.

ولقد اثرت تلك المقاربات الجديدة في الصياغات التكوينية" لمدرسة اولوغ بيك" بسمرقند، من حيث ابتكار اشكال تصميمية معبرة وايجاد مقاييس معمارية ملائمة لها، مما اعطى الاحساس برحابة الميدان الذي تطلّ عليه المدرسة والشعور بضخامة بنائها. وتلعب عمارة المدرسة ومفرداتها التصميمية بقبابها العالية ومدخلها الضخم، ومنائرها الاربع الرشيقة المرتفعة، دوراً كبيراً في تحديد مؤشرات النقاط الاساسية في المدينة وكذلك في رسم وتحديد" خط سمائها" Sil-houetteالمعبّر الذي لا ينسى!.

يتجسد في عمارة" مدرسة اولوغ بيك" وتحديداً في نوعية صياغاتها الفنية، ذلك القرار التزييني الذي يؤكد حضور" ثيمة" الطيف اللوني كوسيلة ضرورية في عملية اكساء المبنى بالصبغات اللونية، اذ خطت الممارسة التزيينية في هذا الشأن خطوات كبيرة. وانتقلت من تقليدية استخدام اللون الاحادي إلى ممارسة تعددية الالوان، فيما يدعى بـ" الفسيفساء الخزفي المنقوش"؛ والذي عد من اهم نجاحات الفن التزييني الذي انتجته شعوب الشرق الاسلامي.

يعتمد انتاج وتقنية هذا الاسلوب التزييني على تقطيع بلاطات خزفية ملونة مسبقاً طبقاً لنوعية الزخرف المراد اكساؤه على الجدران، وتعطي خاصية الطين ذي النوعية المختارة المعمول به البلاطات اللونية، امكانية تقطيعها بسهولة ويسر، ذلك لان سمك تلك البلاطات الملونة لا يتجاوز بضع ملمترات معدودة. يتم تجميع تلك العناصر الملونة استنادا إلى نوعية الزخرف المرسوم ومن ثم يتم تثبيتها بواسطة الجص على سطوح الجدران. ويتيح العمل بهذا الاسلوب امكانية الحصول على صبغة لونية صافية وبراقة وشديدة الكثافة، الامر الذي لا يمكن تحقيقه جراء حرق وشواء البلاطات المنقوشة والمصبوغة التي حتماً ستفيض الوانها وتتدفق على سطوحها بالاضافة إلى امكانية امتزاج الوانها بعضها بالبعض الآخر.

في مدرسة" اولوغ بيك" يمثل المنهاج التزييني الذي بفضله تكتسي جميع سطوح جدران المبنى صبغة تلوينية، يمثل ذلك حدثاً تصميمياً على درجة كبيرة من الاهمية والاصالة، حدثاً يضيف للمنجز المعماري الاسلامي خصوصية متفردة تجعله يثري المشهد المعماري العالمي بمفردات جديدة واصيلة؛ فنحن ازاء ممارسة معمارية مبدعة تحاول ان ترتقي عالياً بالمفردة التشكيلية –الفنية، وتجعلها عنصراً مكافئاً للحل التكويني، وعاملاً مرادفاً له، اذ قلما وجدت في تاريخ العمران الانساني ظاهرة تلوين المبنى باجمعه كمثل حالة اكساء" مدرسة اولوغ بيك" (ومثيلاتها من الابنية الاخرى) بكثافة لونية غامرة، بحيث تجعل من القوام الانشائي ذاته حالة ملوّنة!.

يتوق معمار" مدرسة اولوغ بيك" إلى ان يكون اساس بناء تكويناته التزيينية التى يتعاطي معها حافلاً بالمنطق الصارم والحسابات الرياضية الدقيقة وحضور الأشكال الهندسية. وعلى الرغم من أن التكوين الخزفي للمدرسة يمثل وحدة واحدة معقدة ومتشابكة، فان اجزاءها تتمتع هي الاخرى بوحدات تكوينية متكاملة. تتصف الاكساءات الزخرفية المستخدمة في المدرسة باناقة وثراء كبيرين، بسبب صفاء الالوان للطلّيات الزجاجية وتمازج هذه الالوان بانسجام دقيق. كما ان تلك الاناقة والثراء مردهما ايضاً جمال الخطوط ورشاقة الرسوم الزخرفية. وتعتبر تلك الاكساءات من افضل ما انتج في مجال الفن التزييني في عموم الشرق ابن القرون الوسطى. ثمة بهجة واضحة تكتسي بها تزيينات المدخل الرئيس المشغولة بضفائر مبرومة، وأشرطة حلزونية من الخزف الملون المنقوش. اما الجدران الداخلية الجانبية لعقد المدخل الضخم المحفور في كتلة المدخل، وكذلك حناياه فقد غُطيت برسوم فسيفسائية دقيقة مع حشوات بقطع رخامية صغيرة، وتم اكساء ارضية منطقة اعلى عقد المدخل بتشكيلات نجومية قوامها موزائيك فيروزي مشغول بقطع الرخام. ويقال ان عمل تلك الاكساءات المعبرة رمزياً عن نجوم السماء، كان اشارة لولع الامير" اولوغ بيك" نفسه بعلم الفلك. كما تم اكساء الواجهات الجانبية لمبنى المدرسة وسطوح منائرها العمودية بتربيعات فسيفسائية ضمن شبكات هندسية ضخمة من الكتابات المستلة من القرآن الكريم وبالخط الكوفي.

ولئن كانت طبيعة التزيينات ومقياس وحداتها الضخم التى غلفت الواجهات الخارجية تؤكد اهمية المبنى ورسميته، فان معالجات الفناء الداخلي للمدرسة تمت بشكل مختلف، اذ روعي توظيف شبكة بسيطة من التقسيمات الفضائية، يتجاوب ايقاع تقسيماتها مع عرض الحجرات المحيطة بالفناء، ولزيادة حدة هذا الايقاع وشدته، فانه يقطع بانتظام بواسطة المداخل الايوانية عند المحاور الرأسية للفناء المكشوف.

ان اختيار تناسب منسجم لشكل الفناء المربع، وانتقاء اسلوب معين لتقسيمات وتجزئة الواجهات، وايجاد مقياس انساني مناسب، اكسب عمارة الفناء صفة الالفة" البيوتية"، ومنحها احساساً مفعماً بالراحة والهدوء، (وهو ما ينبغي ان تكون عليه المباني التعليمية). وتضيف الشجيرات المغروسة في وسط فناء المدرسة مزيداً من المتعة والفائدة للبيئة المصممة.

عندما زرت" مدرسة اولوغ بيك" ميدانياً، لاغراض تتعلق بدراستي عن العمارة الاسلامية، وكان الوقت ربيعاً، أدهشتني أشكال المغروسات النباتية في وسط الفناء؛ التى اكتست جميع اغصانها المجردة من الاوراق بالورود ذات الالوان الزاهية؛ وكان كل ذلك يرى على خلفية السطوح الفسيفسائية ذات الخزف" الميوليقي" الدقيق والمتألفة نقشاته من زخرفة نباتية مطعمة بكتابات حروفية، مشغولة بحشوات من الطليات الزجاجية الفيروزية!

وتساءلت في حينها، مَن يحاكي مَن؟ العمارة للطبيعة ام الطبيعة للعمارة؟

واي تناغم انسجامي بليغ يجرى بين البيئتين: بيئة المغروسات الطبيعية، وبيئة المعمار المصنوعة، ذلك المعمار الذي استطاع ان يجعل مادة الصلصال الرخيص لتكون بستاناً طافحاً بالالوان.. والبهجة معاً!

*معمار، واكاديمي عراقي
مدرسة العمارة/الاكاديمية الملكية للفنون
كوبنهاغن- الدانمرك

كل هـــذا المـــوت، كل تلـك الأمكـنـــة

فاطمة المحسن

كانت أقرب إلى منام متكرر، رحلة العبور من مكان إلى آخر،لحظات الإستنفار وقرار المغادرة المفاجئ. مر السيناريو بخاطري ويدي تقفل الحقيبة، تركت أصص الزهور إلى هجير بيروت،وصوت جارتي يستعجلني كي أدرك ماتبقى من الوقت. كنت أحصي المرات التي تشبه هذه المرة، مذ مغادرتي بغداد على عجل قبل ربع قرن. قوافل الناس التي تتدافع على الحدود والطرق المنذرة بالمخاطر.

بيروت الضاحكة إجتزت شوارعها في اليوم الأول للحرب،و دون أن أدري كنت كمن يودع عزيزا،أدخل مقاهيها الجميلة وبوتيكاتها ومطاعمها وأصغي إلى هواجس الناس وإحساسهم بالكارثة،وبما يشبه التصميم، عزمت على تجاهل إشاعة القصف. أسمع هدير الطائرات الاسرائيلية وأتخيل انها ستلقي القنابل في مكان إفتراضي،فما من فضاء يصلح للهدم في بيروت الناهضة بعمرانها. هي أصغر من أن تقصف وأجمل من أن تطوى صفحتها على عجل. خفتت حركة الشوارع،وتباطأت الحافلات عن حمل البشر، ولكن الحرب بقيت مجرد إشاعة لايود الناس تصديقها.

الفتيات يسرعن الخطى في شارع الحمرا،ويتلفت الباعة بين مصمم على غلق محله او البقاء منتظرا مجيء زبون اضطرته الحاجة. هكذا لبنان يؤخذ على حين فجأة، حيث في أقصى الجنوب تشهق عمارات وأبنية جديدة قبل اسبوع من الحرب لاغير. توقفت رافعات الوقت ودوت صفارات الإنذار في المستعمرات الاسرائيلية التي تقع على مرمى البصر. الشابة التي ضيفتنا في قرية الخيام غاوية ضحك،كانت تشرح لنا أسرار أسماء القرى التي مررنا بها، ثم أشارت إلى شريط من البناء وراء تلة قريبة: هذا لهم، تقول، عندما يعطس الأعداء نسمع صوتهم. كان الجنوب هكذا قاب قوسين من الحرب أو السلام،. لم تكن التلال الفاصلة التي تحتلها الرادارات وشبكات الرصد توحي بمواقع قتالية، ولكن الهواء الذي يتنفسه الناس ينذر بالخوف،الصور المعلقة والأناشيد والشعارات.على امتداد الشريط الحدودي ترفع أعلام الثورة الايرانية وصور الخميني وخامنئي،كأن إيران نذرت الجنوب أضحية لحربها وسلامها.

ليس بمقدور الغريب سوى الرهان على السلام،فما من قوم مثل اللبنانيين تغويهم الحياة، فطوال رحلة العودة من سفرة صداقية، كانت الجنوبيات يرقصن ويهزجن بما يشبه اللوثة،أجسادهن تتمايل مع ايقاعات الأغاني الصاخبة،وأصواتهن تعلو وتهبط مع نسيمات البحر والروابي المزهرة.أشحت بوجهي إلى النافذة ولم أفسر مللي من الفرح والصخب سوى بمزاجي العراقي السوداوي. أين توارت الصبيات المرحات هذه الايام؟ وأين ذهبت رانيا المضيفة الجميلة التي تركت بيت أمها قرب بقايا معتقل الخيام؟. كانت الأم قد صنعت أطيب المعجنات لإفطار الصباح، وخصتني بذكرياتها عن الحرب والاحتلال والتحرير، ولم تكن تلك سوى حكايات إبتعدت عن الخاطر،مثل قصص الأقوام الغابرة،فإبنتها شيدت بيتها على إطلالة جميلة في السلطانية، ولكنها تركت أعمدته دون طلاء، وعندما سألتها أجابتني: ننتظر السلام،كل هذا البناء يمكن ان يقوض بثانية.

هل قوض بناء بيتها، وهل قصفت شجرة التوت التي لم أذق طعما لفاكهة تشبهها؟.

كان الجنوبيون يبنون مواطنتهم على الحد الفاصل بين الموت والحياة،وسوى الفقر والتهميش لم يكن لهم نصيب عدا بندقية يشيدون فيها كيانهم. ومع أن الجنوب أصبح الرافد الأساسي لثقافة لبنان الحديثة، فالكثير من المشتغلين بالفكر والأدب والصحافة من أصول جنوبية، غير ان الثقافة مثل البندقية خيار المهمشين من البشر. هم يعيشون بين فاصلة في مواطنة مؤجلة، فإسرائيل طردتهم من أماكنهم إلى بيروت، وبيروت لم تكن كريمة معهم، فتدافعوا إلى تشييد أحياء الضاحية الجنوبية، الوجه القبيح للعاصمة الأنيقة المترفة. بيوت متلاصقة وأزقة قذرة لاتكلف الدولة نفسها رفع الأزبال عنها أو ردم حفرة أو تشييد مدرسة ومركز صحي.تركتهم لحزب الله،يتولى اعادة صياغة خياراتهم. هكذا الأمر دائما حين تساوي الحياة الموت، وحين يصبح خيار الحرب بديلا عن بؤس يتضاعف كل يوم،ويحفر إخدوده نقمة في نفوس الشباب.

الطائرات تدك الجنوب والضاحية، ويبدأ الإقتلاع الجديد، الآف العوائل التي تتدافع نحو الحدود والمناطق الآمنة، ستعيد تأسيس مواقعها،وعندما تنتهي الحرب سيكون وجه لبنان الديمغرافي قد تشكل على نحو مختلف، وهنا سيصاغ سؤال الحرب والسلام على نحو آخر.

لبنان الكيان الصغير يقف دائما خارج التوقعات،فهو قد فاجأ العالم حين أعاد بناء نفسه بعد حربه الأهلية،مثلما يفاجيء العالم اليوم بحربه الجديدة مع اسرائيل. وأيا كانت الخيارات التي أرغم عليها أو أرادها طوعا حزب الله،فسيبقى التحدي الأكبر لإسرائيل في المنطقة، التحدي الحضاري والعسكري معا. فاسرائيل كانت تجابه في معاركها أنظمة وكيانات مكتملة،وعبرها استطاعات أن تؤجل استحقاقات الحرب مع الناس، وهي اليوم تجابه عبر لبنان جماهير وكيانات هلامية،كلما أمعنت في القسوة عليها، زادتها صلابة.ولكن الحرب هي الحرب، لن يفيق من سكرتها إلا الذين فقدوا الأحبة والبيوت،أما المليشيات وأمراء الحرب، فهم غربان الخراب الذين يشيدون عروشهم على البؤس والجهل.

الجنوب اليوم في فم العاصفة، وعندما تهدأ المدافع سيتجه بسفينة لبنان إلى حيث يبقيها كيانا حضاريا يؤرق اسرائيل، أو يمضي بها إلى ممر الأخطار، حين تتحول سارية يعلق عليها المتخاصمون أعلام معاركهم المؤجلة.

استذكارية الورد

بغداد / المدى

يقيم الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق جلسة تأبينية للاكاديمي والشاعر والمسرحي الراحل د. عبد الامير الورد الذي توفي اثر نوبة قلبية قبل اكثر من اسبوع تقام الاستذكارية في الساعة الحادية عشرة صباح الاربعاء الموافق ٢٠٠٦/٨/٢، على قاعة الاتحاد في ساحة الاندلس والدعوة عامة.